

تفسير البحر المحيط

@ 341 أَوْ سَنَنْتُمْ أَوْ سَنَنْتُمْ لِنَفْسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَاهَا . . .
{ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ } أي : وما تنفقون النفقة المعتد
لكم قبولها إلا ما كان إنفاقه لابتغاء وجه الله ، فإذا عريت من هذا القصد فلا يعتد بها
فهذا خبر شرط فيه محذوف أي : وما تنفقون النفقة المعتدة القبول ، فيكون هذا الخطاب
للأمة . وقيل : هو خير من الله أن نفقتهم أي : نفقة الصحابة ، رضي الله عنهم ، ما وقعت إلا
على الوجه المطلوب من ابتغاء وجه الله ، فتكون هذه شهادة لهم من الله بذلك ، وتبشيراً
بقبولها ، إذ قصدوا بها وجه الله تعالى ، فخرج هذا الكلام مخرج المدح والثناء ، فيكون هذا
الخطاب خاصاً بالصحابة . . .

وقال الزمخشري : وليست نفقتكم إلا لابتغاء وجه الله ، ولطلب ما عنده ، فما لكم تمنون
بها وتنفقون الخبيث الذي لا يوجه مثله إلى الله ؟ وهذا فيه إشارة إلى مذهب المعتزلة ، من
أن الصدقة وقعت صحيحة ، ثم عرض لها الإبطال . بخلاف قول غيرهم : إن المن والأذى قارنها .
وقيل : هو نفي معناه النهي ، أي : ولا تنفقوا إلا لابتغاء وجه الله ، ومجازه أنه : لما
نهى عن أن يقع الإنفاق إلا لوجه الله ، حصل الامتثال ، وإذا حصل الامتثال ، فلا يقع الإنفاق
إلا لابتغاء وجه الله ، فعبر عن النهي بالنفي لهذا المعنى . . .

وانتصاب ابتغاء على أنه مفعول من أجله ، وقيل : هو مصدر في موضع الحال تقديره :
مبتغين ، وعبر بالوجه عن الرضا ، كما قال : ابتغاء مرضاة الله ، وذلك على عادة العرب ،
وتنزه الله عن الوجه بمعنى : الجارحة ، تقدم الكلام على نسبة الوجه إلى الله في قوله : {
فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ } مستوفي ، فأغنى عن إعادته . . .

{ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ مُؤْتُونَ } أي : يوفر عليكم جزاؤه مضاعفاً
، وفي هذا ، وفيما قبله ، قطع عذرهم في عدم الإنفاق ، إذ الذي ينفقونه هو لهم حيث
يكونون محتاجين إليه ، فيوفون كاملاً موفراً ، فينبغي أن يكون إنفاقهم على أحسن الوجوه
وأفضلها ، وقد جاء قوله تعالى : { وَيُرِي الْمُسَدِّقَاتِ } وقوله / صلى الله عليه وسلم
(في حديث أبي هريرة :) إذا تصدق العبد بالصدقة وقعت في يد الله قبل أن تقع في يد
السائل ، فيربها لأحدكم كما يربي أحدكم فلوه ، أو فصيله ، حتى إن اللقمة لتصير مثل أحد
(. والضمير في : يوف ، عائد على : ما ، ومعنى توفيته : إجزال ثوابه . . .

{ وَأَنْتُمْ لَا تَطْلَمُونَ } جملة حالية ، العامل فيها يوف ، والمعنى : أنكم لا
تنفقون شيئاً من ثواب إنفاقكم . . .

{ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ } قال ابن عباس ، ومقاتل : هم أهل الصفة حبسوا أنفسهم على طاعة الله ، ولم يكن لهم شيء ، وكانوا نحواً من أربعمئة . وقال مجاهد : هم فقراء المهاجرين من قريش ، ثم يتناول من كان بصفة الفقر ، وقال سعيد بن جبير : هم قوم أصابتهم جراحات مع النبي صلى الله عليه وسلم) ، فصاروا زمنى ، واختار هذا الكسائي ، وقال : أحصروا من المرض ، ولو أراد الحبس من العدو لقال : حصروا ، وقد تقدم الكلام على الإحصار والحصر في قوله : { فَإِنَّهُ أُحْصِرْتُمْ وَمَا اسْتَخِيرْتُمْ مِنْ آلِهِمْ } وثبت من اللغة هناك أنه يقال في كل منهما أحصر وحصر ، وحكاه ابن سيده . .

وقال السدي : أحصروا من خوف الكفار ، إذ أحاطوا بهم ، وقال قتادة : حبسوا أنفسهم للغزو ، ومنعهم الفقر من الغزو ، وقال محمد بن الفضل : منعهم علو همتهم عن رفع حاجتهم إلا إلى الله . وقال الزمخشري : أحصرهم الجهاد ، لا يستطيعون لاشتغالهم به ضرباً في الأرض للكسب . إنتهى . .

و : للفقراء ، في موضع الخبر مبتدأ محذوف ، وكأنه جواب سؤال مقدّر ، كأنه قيل : لمن هذه الصدقات المحثوث على فعلها ؟ فقيل : للفقراء ، أي : هي للفقراء . فبين مصرف النفقة . وقيل : تتعلق اللام بفعل محذوف ، تقديره : أعجبوا للفقراء ، أو اعمدوا للفقراء ، واجعلوا ما تنفقون للفقراء ، وأبعد القفال في تقدير : إن تبدوا الصدقات للفقراء ، وكذلك من علقه بقوله : { وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ } وكذلك من جعل : للفقراء ، بدلاً من قوله : فلأنفسكم ، لكثرة الفواصل المانعة من ذلك . .

{ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ } أي تصرفاً فيها ، إمّا لَزَمْنِمِ وَإِمّا لخوفهم من العدو لقلتهم ، فقلتهم